

المستوى : سنة ثانية ليسانس

المقياس : اربا في العصور الوسطى

المحاضرة رقم 07: نشأة البابوية و تطورها

1/ تنظيم الكنيسة :

انتظم المسيحيون منذ ظهور هذه الديانة في كنائس يوجه كلا منها أسقف منتخب ويساعده في أداء مهامه عدد من القساوسة والشمامسة، وتدرجيا تشكل تسلسل المناصب داخل الكنيسة بشكل يحاكي التقسيمات الإدارية في الامبراطورية الرومانية حيث صار هناك ستة بطاركة يتوزعون على أمهات المدن المسيحية وهي: القدس، أنطاكية، الإسكندرية، قرطاج، روما، القسطنطينية.

شكل هؤلاء البطاركة الستة رأس التنظيم الكنسي ويتبع كل واحد منهم رؤساء الأساقفة الذي يشرفون على عدة أسقفيات في إقليم واحد ثم يأتي الأساقفة الذين يشرفون على شؤون الكنيسة في إقليم معين، ثم يأتي القساوسة في أدنى السلم الكهنوتي.

تطلبت محاكاة الكنيسة للنظم الإدارية الرومانية قيام شخصية عظيمة على رأسها تماثل الامبراطور ، وهنا برز فرق واضح بين الكنيستين الشرقية والغربية، حيث أن كنيسة القسطنطينية خضعت لسلطة الأباطرة هناك ولم يكن بمقدورها الاستقلال عنهم حتى أن الأباطرة البيزنطيين صاروا يحكمون بمبدأ القيصرية البابوية الذي يقضي بالجمع بين سلطة القيصر السياسية ومهام البابا الدينية. أما الكنيسة بروما فقد تحررت من سلطة الأباطرة بعد سقوط روما، وهو ما جنبها المصير الذي آلت إليه نظيرتها بالقسطنطينية.

بعد سقوط روما ازداد نفوذ الكنيسة وتضاعفت ممتلكاتها، حيث صار أساقفتها يتخذون لأنفسهم صفة الحكام الدينيين، وأخذوا يملكون الاراضي ويشرفون على الأعمال العامة بالمدن ويجمعون الضرائب ويعينون الموظفين وغير ذلك من الأعمال التي تدخل في صميم اختصاص الحكام.

وفي هذه الفترة برزت كنيسة روما كقوة روحية وسياسية، واتخذ أسقفها لقب البابا مدعيا أن له السلطة على جميع الكنائس المسيحية، وبرغم معارضة كنائس الشرق فإن البابوية في روما قد تمكنت من فرض سلطانها فعليا على الغرب المسيحي بشكل عام في عهد البابا جريجوري الأول (590 - 604م -).

لقد تضافرت عدة عوامل أدت لبروز الزعامة البابوية ويمكن أن نلخص أهمها فيما يلي:

- أهمية مدينة روما التاريخية والحضارية، حيث أن أهمية الأسقف تأتي من أهمية مدينته وهو ما مكن أسقف روما من استغلال شهرتها الواسعة وماضيها العريق في تحقيق زعامته على أسقفيات الغرب الأوربي.
- ارتباط مدينة روما بالقدّيس بطرس (أحد حواربي عيسى عليه السلام) حيث أسس بها أول كنيسة مسيحية، ذلك أن اعتقاداً ساد لدى المسيحيين مفاده أن أسقف مدينة ما يُعد خليفة لمن نشر المسيحية أول مرة بتلك المدينة، فكان أساقفة روما خلفاء للقدّيس بطرس الذي كان نائباً للمسيح في الأرض.
- التجاء بعض الأساقفة إلى أسقف روما من أجل استئناف بعض الأحكام الصادرة عن المجامع الإقليمية، ما جعل أسقف روما يبدو وكأنه الحكم الأكبر.
- دعم أباطرة روما لسلطة البابا، ففي سنة 455 م أصدر فالنتينيان الثالث مرسوماً يقضي بخضوع جميع أساقفة الغرب لبابا.
- تحمل البابوية أعباء حماية الغرب الأوروبي من الغزو الجرمني، وهو ما رسخ سلطانها ونفوذها، فمثلاً حال البابا بين الهون وغزوهم لمدينة روما، كما أنقذها من احتلال اللومبارديين.
- أدى سقوط عرش الامبراطورية الغربية سنة 476 م إلى إتاحة المجال للبابا لفرض سلطته الدينية والسياسية حيث حل البابوات محل الأباطرة بروما.
- تعاقب عدد من الشخصيات القوية على كرسي البابوية ما أسهم في بروزها وتحقيق م - سيادتها الدينية والسياسية، ومن أمثال هؤلاء نذكر البابا داماسوس الأول (-366-384)، الذي ألف كتاباً استعرض فيه مكانة أسقف روما وسيادة البابوية، كما عهد إلى أحد أساقفة بترجمة الانجيل إلى اللاتينية ليُسَهِّل انتشار المسيحية على أوسع نطاق. ثم جاء بعده البابا سيريكوس 399-384 م) الذي قام باستخدام لقب البابا رسمياً في الخطابات، وألف - المراسم البابوية التي تمثل الطقوس المختلف التي يقوم بها البابا أثناء تسلمه كرسي البابوية، وهدفه من ذلك إحاطة البابوية بنوع من الهالة والعظمة. وهناك أيضاً البابا ليو الأول 440-461 م) الذي تم في عهده الاعتراف بسيادة البابوية على كافة كنائس الغرب لأوروبي إضافة إلى البابا جريجوري الأول (590-604 الذي تمكنت البابوية في عهده من فرض سلطانها فعلياً على باقي الكنائس.
- لقد هيأت الممتلكات الواسعة التي امتلكتها الكنيسة بروما دخلاً مهماً للبابا جعله في غنى عن مساعدات الحكام، كما أن ثروتها الاقتصادية رسخت سيطرته ومكنته حتى من تجييش الجيوش للدفاع

3/ المؤسسات البابوية:

أ/ البلاط البابوي

كان بلاط البابوية أشبه ببلاط الملوك والأباطرة، حيث أحاط البابوات أنفسهم بمظاهر الأبهة والفخامة، وينقسم هذا البلاط على عدة إدارات أهمها عن سلطته وممتلكاته.

ب/ -الديوان البابوي:

يتشكل من مجموعة إدارات ومن بين مسؤولياته الاشراف على البريد الوارد والصادر من البابا، كما كان يوجد به مختصون في إصدار المراسيم البابوية.

ج- / المندوبون البابويون: مهمتهم عقد المجامع الدينية والفصل في القضايا الهامة التي قد تطرح في بعض الأقاليم، ولم يكن بمقدور أحد نقض قراراتهم سوى البابا.

د/ المحكمة البابوية: تنظر في استئناف القضايا التي حكمت فيها المحاكم الكنسية الإقليمية.

هـ/ الإدارة المالية: تختص بحساب الإيرادات والمصروفات.

الكنيسة:

عُرفت الكنيسة في بدايات نشأتها باعتماد حياة التقشف والزهد، غير أن الانتشار الواسع للمسيحية وتراكم الثروات والهبات المتدفقة عليها وما ارفق ازدياد سطوتها الزمنية من تزايد في ممتلكاتها، أدى إلى توسيع جهازها الذي صار يتكون من البابا الذي يعد رأس الكنيسة وصاحب أعلى منصب فيها، ثم يليه الكرادلة (جمع كردينال) وهم مجموعة مختارة من كبار الأساقفة يعملون كمستشارين للبابا ويعيشون في البلاط البابوي، ثم منصب رئيس الأساقفة الذي يشرف على كنائس إقليم معين، ويليه الأسقف الذي يقيم في الكاتدرائية (وهي الكنيسة المركزية بمدينة معينة)، ثم يليه القس الذي يشرف على كنيسة القرية ويعاونه الشماس و الراهب .

03-الدير:

تعتمد حياة الديرية على الانعزال والزهد ورغم انتشارها بشكل واسع في غرب أوروبا في القرن السادس الميلادي إلا أن أصولها كانت مشرقية حيث ظهرت حياة الرهبانية لأول مرة م -) في مصر خلال القرن الرابع

الميلاد، ويعتبر القديس بولس الطيبي 251-356 ومعاصره القديس أنطون أول مثالين لحياة الرهبنة في المسيحية.

عرفت مصر القبطية نوعين من الديرية اعتمد الأول على الديرية الانفردية حيث ينعزل الفرد وحده متأملاً ومتعبداً، أما النوع الثاني فهو الديرية الاجتماعية التي ارتبطت بالقديس باخوم (ت 348 م) الذي نجح في تأسيس عشرة أديرة جماعية منها واحد للنساء.

أما عن دخول الديرية إلى إيطاليا فقد تم ذلك خلال القرن الاربعميلادي على يد الراهب أثناسيوس إلا أن انتشارها الفعلي لم يتم فعليا سوى في القرن السادس على يد القديس بندكت (ت 543 م) الذي أسس أول دير بمنطقة مونت كاسيغو سنة 529 م والذي غدا نموذجا يقتدى به في غرب أوروبا.

رغم حياة البساطة التي قامت عليها الديرية إلا أنها لم تكن بمنأى عن المفاسد التي عمت الغرب الأوروبي خاصة بعد سقوط امبراطورية شارلمان وهو ما أدى إلى بروز عدة حركات إصلاح دينية .